الأدب النسوي وتحديات العولمة

د(ة). حسيبة حسين – جامعة علي لونيسي البليدة-الجزائر

د. ناجي شنوف – جامعة المدية-الجزائر

ملخص:

يحظى الأدب النسوي باهتمام بالغ الأهمية منذ أمد بعيد، وفي الوقت الراهن صار الاهتمام بالحديث عن علاقته بالتطوّرات والتفاعلات القائمة على جميع الأصعدة، وكيفية، مواجهته للتحديات التي تفرض تأثّيرها على الأدب، سواء تحديات العولمة الثقافية أو الحركات التحررية النسوية أو عولمة الحياة الاجتماعية والتكنولوجية على سواء، ليجد الأدب النسوي نفسه قد تخطّى مرحلة كبيرة من التحدّي للانطلاق نحو العالمية التي ينشرها بخصائص ومميزات تضمن له التصدّي والبقاء والإيجابية.

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي – العولمة – التحدي – الآخر – الثقافة– الهوية.

Abstract:

Feminist literature has attracted critical attention for a long time, and today's attention is put on its relationship with the development and interaction at all levels, and how to confront the challenges that imposed their impact on literature, such as the challenges of cultural globalization or liberation movements feminism or the globalization of social and technological life on both . Feminist literature itself has drawn the big stage of the challenge to launch towards the globalization published with characteristics and features included existence and positiveness.

Keywords: feminist literature - globalization - challenges - Other- Culture- Identity.

المنارة للاستشارات

إنّ الحديث عن الأدب النسوي عموما، والجزائري خصوصا، هو حديث ينبغي الانطلاق فيه من طبيعته التقليدية التي كانت قائمة على اعتباره مجرّد أدب كلاسيكي، بل لم نعطه كامل حقّه في كثير من الأحيان، لنصل به إلى صفته الحديثة التي شغلت فيه الأديبة مساحة أكبر من أجل تقديم أدبها للآخرين، ليس لكونها مجرّد امرأة تعبّر عن أنوثتها وما يتعلّق بها من قضايا ومسائل اجتماعية إنّما لكونها أديبة مبدعة يمكنها الخوض في كلّ قضايا المجتمع ومعالجتها بما وصلت إليه من وعي واجتهاد في التعامل مع الواقع لا تختلف في ذلك عن الرجل الأديب.

وإذا كان الأدب الجزائري عموما له خصوصياته التي تميّزه عن باقي الآداب في العالم العربي سواء من حيث تركيبته أو موضوعاته التي تدلّ على أصالته وعمق طرحه، و مزجه بين العقلانية والواقعية، بين حفظ التراث العميق وبين الحياة المدنية الحديثة بغضّ النظر عن كونه مكتوبا بالعربية أو بالفرنسية.

إنّ الحديث عن الأدب في الوقت الرّاهن يدعونا حتما إلى الحديث عن علاقته بالتطوّرات والتفاعلات القائمة في العالم على جميع الأصعدة والاتجاهات.

إذ ينظر الفكر الجديد للنظام العالمي حاليا إلى وضع الأفراد كلّهم في وضعية انتقالية فكرية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية...

وهذا الأمر كان لابدّ من إدراكه من طرف الأديبة لتوجد لنفسها صنفا في كتاباتها بما يتماشى مع التحوّل الهائل في الفكر والنقد.

وعليه فإنّ عرض مثل هذه الدراسة من خلال بيان أهميتها في الوقوف على أهم التحديات التي تفرض تأثيرها على الأدب عموما، وكيفية النهوض به لمواجهة ذلك، ليكون في مستوى ذلك التحدّي.

والغرض من هذه الدراسة ليس في عرض النصوص الأدبية ونقدها، وإنما الوقوف على أهمّ تحديات العولمة وموقف الأدب منها.

وبالتالي فإننا سنقف في هذه الحالة عند مجموعة من الإشكالات التي لابد من طرحها وهي:

ما مدى تأثير تغيّر النسيج الاجتماعي العالمي والفكري على شخصية الكاتبة؟

وهل الأدب هو عامل مؤثّر في إطار العولمة؟ وهل هناك سياسة ثقافية عالمية تفرض تقنين الأدب وضبطه؟

أولا: الأدب النسوي والعولمة:

قبل الحديث في هذا الموضوع لابدّ أن نقف عند تحديد بعض المفاهيم والتي من أهمها:

-الأدب النسوي:

وهو الأدب الذي أحدث إشكالية منذ فترة طويلة من الزمن بين من أيّد حقيقته ومن عارضها، وبين مثير للجدل في خصوصه، وإن كان هذا الموضوع ليس هو صميم البحث، لكن ارتأيت الإشارة إليه باعتبار أنّ الأديبة أوجدت لنفسها فضاء رحبا فرضت فيه فكرها تعبّر فيه عن إبداعاتها وقدرتها على

المنارة للاستشارات

كسب القرّاء ونقد النقاد لما تكسبه من تميّز في الطرح، وبصفة خاصة لمختلف القضايا الاجتماعية تجاوزت بها مرحلة الشعر الملحون والشعر الحر والأحجية إلى احتواء مختلف القضايا المستسقاة من تجاربها من تطورات مجتمعها، أشار إلى ذلك الأستاذ سيد حامد النساج، إلى أنّ " المرأة الكاتبة انطلقت تعبّر عن موقفها مع أحداث الحياة التي تجري من حولها ولم تعد منكفئة على همومها الخاصة"[1].

ويلاحظ في إطار ذلك أنّ الرواية الجزائرية اتجهت في الآونة الأخيرة اتجاها واضحا نحو النضج الفكري والفني مما حذا بالنقد الأدبي إلى النظر إليه من خلال زاوية جديدة، ويمكن القول بأنّ الأدب الجزائري عموما قد جاء نتيجة صراع بين الموروثات الماضية سواء من الحقبة الاستعمارية وما خلّفته من سلبيات، أو بعض الإيجابيات على فكر المرأة، وبين تفاعلها مع المستجدات من القضايا المحلية أو العالمية ما أضفى على أدبها كثيرا من التوازنات استطاعت أن تدمج فيه بين ثقافتين، عربية نابعة من انتمائها دعّمت أصالتها، وفرنسية ناتجة عن احتكاكها بالمستعمر.

وأرادت إلى حدّ كبير أن تنوّع موضوعات أدبها وأن تواجه النقد الذي لم يكن ينصفها فيما مضى، "فإن كان الأدب النسوي قد واجه كثيرا من النقد باعتباره يتضمن قضايا محدودة تبعا لتجربة محدّدة...إلاّ أنّ الناقدة كثيرا ما تواجه هذا الموقف وتدافع عن الأدب الذي تكتبه بالقول أنّه يحمل أبعادا سياسية واجتماعية واسعة"[2].

ثانيا: العولمة والأدب النسوي:

إنّ الحديث عن الأدب النسوي الذي مازال في بداية طريقه يلزمنا في آن واحد ربطه بالمؤثّرات التي قد تعترضه كون الملاحظ على الصعيد الدولي هو خضوع الكتاب والصحيفة والرأي العام ووسائل الإعلام والثقافة عامة عند الغرب إلى سوق التجارة الحرّة، وهذه الثقافة هي التي تحاول بسط أجنحتها على جميع أفراد العالم وهوما اصطلح عليه بمصطلح العولمة[3].

وعليه فإنّه من الضروري تسليط الضوء على مصطلح العولمة، وهي كمصطلح حديث **Globalisation** اختلف في بدايات استعماله، لكن طرح بشكل واسع وخطير في مقولة **صمويل هنتغتون**، والتي جسّدها فيما بعد في مؤلفه الشهير "صدام الحضارات" الذي طرح فيه فكرته حول صراع الحضارات وتصادمها، والتي اعتبرها ظاهرة ستؤدي إلى إلغاء الحدود وتذويب التضادّ الثقافي بين الشعوب المختلفة لتكون السيادة لأمريكا كونها القطب باعتبارها الأقوى، وأنّ الدول الضعيفة ستخضع للنظام العالمي الجديد، واقع تفرضه هذه الدول الأقوى[4].

ثم تطوّرت هذه النظرية وأُعطي لها كامل الأهمية وعُمل على تجسيدها إلى أمد بعيد لتشمل كلّ الأصعدة وسخّر لها كلّ الوسائل التكنولوجية الحديثة.

وعليه فإنّ العولمة هي "ظاهرة تقوم على إلغاء الحدود وتذويب الفروقات الثقافية بين الشعوب المختلفة"[5].

والعولمة تستغل السوق العالمية استغلالا واسعا من أجل تجسيد تلك الأهداف، وبدلا "من الحاجات القديمة التي كانت في كلّ بلد ما يشبعها تجد

المنارة للاستشارات

رغبات جديدة يتطلّب إشباعها...تصبح الإبداعات الذهنية للبلد الواحد ملكية مشاعة، ومن الآداب المحلية والفطرية العديدة ينشأ أدب عالمي..."[6].

وإذا كان هذا هو مفهوم العولمة وحرصها على السيطرة فإننا لابد من الإشارة إلى مصطلح وهو مصطلح الأدب العالمي للتفرقة بينه وبين عولمة الأدب، فالأدب العالمي مشتق من العالمية "**Universalism**"، ويقصد به ذلك الأدب الذي يكون اختيارا ثقافيا من الشخص يطمح من خلاله إلى التعارف والتواصل مع غيره من دول العالم مع المحافظة على خصوصيته المحلية والثقافية التي تميّزه عن غيره دون تأثّر به.

ثالثا: أهمّ تحديات العولمة والأدب النسوي:

يمكن أن نجمل هذه التحديات من خلال هذه المستويات:

-تحديات العولمة الثقافية.

-تحديات السوق العالمية.

-تحديات عولمة الحركات التحررية النسوية والفكر النسوي.

-تحديات عولمة الحياة الاجتماعية والتكنولوجية.

1-تحديات العولمة الثقافية:

لقد كان لكلّ مجتمع خصوصياته في الدلالة على ثقافته والذي استطاع التعبير عن سيادته الوطنية من خلال الأدب والفن عموما، وعولمة الثقافة باتت من أهم الخطابات الإيديولوجية التي تهدف إلى هيمنة ثقافية خاصة نحو عالم واحد الغرض منها "تحويل الهوية الثقافية من إطارها القومي الخاص إلى

الاندماج والتفاعل مع الهويات الثقافية الأخرى في ظلّ الهوية الثقافية الأحادية"[7]، والتي تنظر إلى الثقافة العربية والإسلامية بنظرة ازدراء واحتقار، وتوضع على هامش من الثقافات الأخرى.

وهذا الموضوع يحيلنا إلى الحديث عن فرض لغة عالمية تكون هي عنوان تلك الثقافة، وهي إحدى القضايا المحورية للثقافة العالمية وهي إيجاد لغة عالمية مع اختلاف في تحديد حقيقتها بين مؤيّد لفرض لغة ما باعتبارها لغة دولية كالإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات، وبين من ينادي بوجود لغة تصطنع لها مصطلحات كلغة الإسبرانتو Espéranto [8]، التي تتمتع هيئتها الاستشارية بمنزلة لدى اليونسكو، وتعمل كلغة مشتركة، وهي غير متحيّزة لأيّ لغة وطنية طبيعية بعينها.

ويعتقد الفيلسوف الأمريكي "**ويزرفورد**" أنّ هيمنة اللغة الإنجليزية على العالم هي نتيجة حتمية لهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كأعظم قوة، وأنّ هدفهم سيتحقق في إيجاد عالم واحد وثقافة واحدة.

وفي الوقت الذي تزداد فيه القيود حول الالتزامات الأخلاقية وارتباط الشعوب بالقيم وبالتراث وتفاعل الأفراد مع التكنولوجيا بشكل ملفت للانتباه، وإيجاد لغة رقمية وتكنولوجية عالية الاستعمال، فإنّ ذلك يطرح مخاوف حول قدرة الأدب على مواجهة تلك اللغة والوقوف عند هذه التجربة في عمق الطرح للمواضيع ليقف أمام موقفين:

إمّا المحافظة على ما هو أصيل وبلغة سليمة.

المنارة للاستشارات

وإما الخضوع لمتطلبات وحاجيات العولمة وبلغة العولمة للتماشي مع السوق العالمية.

وقد لاحظ النقاد في وقت معيّن أنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إنّما كان يخدم اللغة الفرنسية ذاتها، وأنّ المشكلات التي كانت تطرح عن الإنسان الجزائري لا تتعدى وصفه بالبؤس والشقاء وحبّ الاستهلاك، لكن ظهور الوعي لدى الأدباء والأديبات جعل من الواجب عليهم الوقوف إلى جملة التحديات التالية:

-أن يطوّع الأديب اللغة العربية الأصيلة لتستوعب كلّ المصطلحات، وحتّى المفاهيم والفنون التي تصاغ بشكل حديث.

-ضرورة الانتباه إلى العولمة الثقافية التي تحطّم القيم والهوية التقليدية للثقافة الوطنية النابعة من عمق وأصالة الجزائري، والتي تريد الترويج لقيم بديلة استهلاكية غربية.

-أن يستطيع من خلال كتاباته الأدبية مواجهة حرب المصطلحات التي تشكّل لغة عالمية جديدة يراد الترويج لها وحمايتها، وحتى الدفاع عنها كالإرهاب، والعنف الفكري.

أن يهدف الأدب إلى:

-التحرّر من الثقافة التبعية التي تشعر الجزائري بالدونية أمام مظاهر التقدّم الغربي أو الحداثة بكل مواصفاتها للحياة المتطوّرة وما يقابلها من تنمية.

-التحرّر من ثقافة الانهزامية التي تفرض على الأديب التكيّف مع الواقع والانصهار في أفكاره ومعتقداته ومن ثمّ الترويج لذلك؟

ولكون الأدب رسالة أخذتها الأديبة على عاتقها، فلابد أن تضع نصب عينيها دائما ما يلي:

-القارئ الذي يتذوّق أدبها والذي يؤثر على غيره من الآداب.

-الأسلوب الذي تعرض به فكرها ليكون في مستوى تطلّع شعبها، بل وغيره من الشعوب متحدية بذلك الثقافات الأخرى.

2- تحديات السوق العالمية:

فقد أوجدت العولمة في التعبير عن أفكارها ما يسمى بالرواية العالمية التي تعتبرها وسيلة تسويقية لتراث يصاغ بفنّ خاص وجمالية خاصة لأفكار خاصة كالحداثة والتطوّر والتمدّن والواقعية.

وتفرض هذه السوق العالمية على الأدب كغيره من المجالات المتعددة إما الانتماء إلى هذا الأدب بكلّ خصوصياته وأغراضه مهما كان نوع الأدب الذي يقدّم، ومهما كان موافقا أو مخالفا لقيمه أو أصالته المحلية، وقد يفرض عليه ذلك فرضا من أجل أن يكونوا بورجوازيين، وإما الاحتفاظ بموروثه الأدبي ومن ثمّ الانقراض.

المنارة للاستشارات

3- تحديات متطلبات الحركة النسوية العالمية:

وبالخصوص تلك الحركة النسوية التي ظهرت مع نهاية القرن 19م في فرنسا وبريطانيا وأمريكا، والتي صارت فكرا ورؤية جسّدتها اتفاقية "سيداو " **Cedow** والتي اتخذت من أهمّ مبادئها:

-عدم التمييز.

-المساواة بين الرجل و المرأة.

-تشجيع الاختلاط والمساواة بين الزواج و الطلاق.

وقد سعت هذه الحركات إلى عولمة هذا الفكر من خلال الوثائق الدولية والمؤتمرات الأممية، كمؤتمر القاهرة 1994، ومؤتمر بيكن 1995، وعقد مؤتمر نيويورك 2005 لمتابعة تنفيذه(9).

ويقف الأدب النسوي خصوصا في هذا الصدد أمام مشكلة الموضوعات التي يطرحها، فيقف أمام:

-المرجعية في الأدب النسوي الذي يشكّل الإطار المعرفي الذي يظهر فيه الزمان والمكان بشكل عميق من حيث إمكانية استغلالها للتجربة الحديثة للأدب.

-عولمة قضايا النساء من مختلف الأقطار والحضارات بما يتخللها من النظر إلى المرأة من جانب أنوثتها، إغراءات جسدها، جمالها، حبّها زواجها...

-عولمة الحقوق التي تجعل المرأة مطالبة لها عبر القوانين الدولية والمواثيق كالحرية المطلقة، المساواة مع الرجل، إعادة النظر في قوانين الأسرة، محاربة الاضطهاد والتعنيف.

-ويتأكّد اجتياح مثل هذه المواضيع من خلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا بكلّ أشكالها.

ومعالجة هذه المواضيع على وجه الخصوص في الأدب الجزائري ومقارنتها بشعارات العولمة تجعل من الواجب الوقوف عند مجموعة من الحقائق التي لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها منها:

1-أنّ الأدب لا يمكن أن يتحدّث عن هذه الحرية أو عن الحقوق إلاّ من خلال القيم والثوابت التي انبثقت من أصول الدّين الإسلامي الذي هو دين كلّ الجزائريين، والذي فيه من النصوص ما لا ينكره أحد في تكريم المرأة، وحفظها وصيانتها، بل وتحريرها، ومنع المساس بها أو بما يخدش كرامتها أو عفّتها.

2-أنّه لابدّ أن يتخلّص من ذلك الركام الأدبي الفكري الناتج عن تأثير الغرب بالانطلاق من قاعدة متينة قائمة على أساس الاعتزاز بالذات وبالمعتقد والتميّز بذلك الانتماء المنفرد لإله واحد أنصف المرأة كما أنصف الرجل، ولوطن أكّد على عزّتها وحماية أسرتها بما يوافق الدّين وخصوصيات المجتمع.

فيتّجه الأدب بذلك إلى عدم إحداث تناقض أو تضارب بين جوهر المواضيع التي يكتبها ويتبناها ويرسّخها في نفوس القارئين، وبين أسس الحضارة العربية الإسلامية.

المنارة للاستشارات

4- تحدي العولمة الاجتماعية والتكنولوجية:

يقودنا الحديث في هذا المجال إلى التطرّق إلى خطورة التغريب بالنسبة للمجتمعات، وهو الأمر الذي يبقى إشكالية من الصعب معالجتها في أسطر معدودة، إذ نجد أنّ الفرد وجد نفسه أمام مجموعة من الأخطار:

-تغريبه بعزله عن قضاياه التي يؤمن بها.

-تشكيكه في قناعاته.

-سيطرة الثقافة الغربية على فكره.

-سيطرة الثقافة الترويجية الاستهلاكية لكل حديث عن الغرب.

والأدب اليوم يقف أمام مجموعة من وسائل الإعلام سواء المرئية أو المسموعة التي صار الأفراد يستقون منها نمط حياتهم وطريقة تفكيرهم أوحتى أسلوب تعاملها، وبانعدام الرقابة يمدّ هؤلاء أنفسهم أمام اختراق كبير للمعايير الأخلاقية والثوابت الوطنية التي تدمّر العقول وتقتل الأرواح وتذهب بسلوكاتهم، وكأنّها تغتصب ثقافة مجتمع اغتصابا.

وتحدّي الأدب لذلك يكون من خلال:

-عمق المواضيع التي يطرحها والتي تكون من صميم تفكير الجيل الذي لا يضع لفكره أي قيد ليكون هذا الأدب هو قيده والموجّه له.

-جمالية النصوص التي تخضع لمناهج صحيحة ومؤثّرات فنية من خلال انفتاحه على قضايا حديثة مع حسن طرحها، ليشكّل القارئ بؤرة اهتمامه

وهو يتشوّق إلى عرض الأديبة لقضيته وصراعه مع نفسه من جهة ومع أوضاعه المتضادّة من جهة أخرى.

خاتمة الدراسة:

في ظل التطوّرات التكنولوجية التي يعيشها العالم، وفي ظلّ التقارب الثقافي الذي يعيشه الأفراد والذي يحاول النظام العالمي احتواءه ليوجد له إطارا عالميا أمام ذلك كلّه، وهو يبرر نفسه ويحافظ على خصوصياته ويتطلّع إلى آفاق أفضل.

ومن أهم النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة:

1-أنّ الأدب النسوي الجزائري قد تخطّى مرحلة كبيرة من التحدّي وأثبت قدرته على الصمود ومواجهة العقبات التي كانت تصدى له بالنقد وبعدم الفاعلية.

2-أنّ سياسة العولمة هي سياسة نظام عالمي يكون بيد قوّة عالمية تسعى إلى احتواء ثقافات وأفكار الشعوب لتخضعها إلى ثقافة وإيديولوجية واحدة.

3-أنّ العولمة تسعى إلى الاحتكار عن طريق السوق العالمية الحرّة ووسائل الإعلام والتكنولوجيا.

4-من أجل ذلك فإنّ الأدب النسوي مطالب بمواجهة التحديات التي يراد بها مسخ الهوية الجزائرية، أو القضاء على التراث أو المساس بالشخصية الجزائرية الإسلامية الأصيلة.

المنارة للاستشارات

5-حرص الأدب النسوي على الانطلاق نحو العالمية من خلال المحافظة:

-على اللغة السليمة.

-على عمق الطرح للموضوعات.

على جمالية الأسلوب ليكون فعّالا.

-على ثوابت المجتمع والدفاع عنها.

-ألا يكون هدفا للسوق فحسب

-أن يكون عامل تأثير من خلال تطويع المصطلحات العلمية الحديثة لخدمة الأدب الجزائري.

-أن يستوعب الأدب الثقافات الأخرى كي لا يكون انهزاميا أو تابعا لأفكار ومعتقدات غيره.

ويتأتى له ذلك من خلال:

-الحرص الشّديد على التمسّك بثقافته وإبراز إيجابياتها للآخر.

-التمسّك بالموروث الحضاري من الأدب الأصيل بما يتماشى مع متطلبات التحوّل الثقافي.

-المعرفة الجيّدة بثقافة الآخر وفكره، وكذا معتقده ومن ثمّ التنبّه إلى ما يجب الحذر منه.

مراجع الدراسة:

(1) –سيد حامد النساج، **بانوراما الرواية العربية**، دار غريب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة النشر، 2007، ص،85.

(2)–عبد الغفار نصر، **ثقافة العولمة وعولمية الثقافة**، مجلة المعارج، دمشق، سورية، السنة 16، العدد 73، سنة 2007،ص،30.

(3)– بثينة شعبان، **100 عام من الرواية النسائية**، دار الأدب، بيروت، لبنان، طبعة سنة 1999، ص،23.

(4)–صمويل هنتغتون، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد**،ترجة طلعت الشايب، الطبعة الثانية، سنة النشر، 1999،ص،102.

(5)–محمد عابد الجابري، **سلسلة مقالات حول العولمة والهوية**، جريدة الاتحاد الإماراتية، أوت 2007.

(6)–مايكل دينتيغ، **الثقافة في عصر العوالم الثلاثة**، ترجمة أسامة الغزولي، سلسلة عالم المعرفة، جوان،2013، ص،34.

(7)–زغو محمد، **أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية.

(8)–وهي اللغة التي ظهرت بعد وفاة ماركس، اخترعها لودفيغ أليعزر زامنهوف كمشروع لغة اتصال دولية عام 1887.

(9)–www.halmuslim.net/mode/82674

المنارة للاستشارات